التسامح ودوره في بناء المجتمع من منظور إسلامي

د. عفاف محمد عبد السلام حسين
كلية التربية/ جامعة الزاوية

مقدمة

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالبينات والهدى، ليخرج الناس من الظلمات إلى النور ويهديهم إلى صراط العزيز الحميد، والصلاة والسلام على أفضل رسله، وأشرف خلقه ، سيدنا محمد الذي جعل سيرته قدوة لكل مؤمن في جميع شؤون الحياة صغيرها وكبيرها، وأوفاها بحاجات الناس في مختلف بيئاتهم وعصورهم، صلى الله وسلم عليه وعلى أصحابه حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

وبعد....

فإن الإسلام دين شامل للحياة كلها ، وصالح لكل زمان ومكان ، ينظم علاقات الإنسان مع الإنسان والإنسان مع الموجودات ، والموجودات مع بارئها في بيان يجلي الحقائق ، ويؤكد أن الله قد هيأ لشريعة الإسلام أن تكون خاتمة الشرائع . بما حياها الله من شمول ويسر وقيم سامية .

ومن مبادئ الإسلام السامية التسامح الذي تدعو إليه نصوص القرآن والسنة . وهذه السماحة تتسع لمجالات الحياة المختلفة ؛ لذلك فإن الإسلام يقرر أهمية التعايش والترابط بين أبناء المجتمع الواحد كالبنيان المرصوص ؛ حتى لا تتعطل مصالح أبنائه.

فمن القيم الأصيلة للمجتمع الإسلامي قيمة التسامح ،والتي إذا سادت شعر الناس بالأمن والسعادة ،وإن قيمة التسامح تصون شخصية المجتمع الفاضل الذي يهجر الناس فيه البغضاء والانتقام ،فيتصافحون ويتسامحون ،فيكونوا قد أحرزوا الخير كله ويتحقق فيهم قول الله تعالى: "{فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ } الشورى:40 وذلك خلاف الرغبة في التشفي والانتقام والاستحواذ لأن هذه الصفات خاصة بأهل الشر

الذين لا يعرفون التسامح ، وإذا اختفت معاني التسامح انتشر الهلع والذعر بين جنبات المجتمع ، والتسامح يورث التواضع ،وإن التواضع يورث القبول إذا وضع القبول في الأرض دل ذلك على ارتفاع قيمة التسامح في المجتمع.

ومن خلال استقراء النصوص واستنباط دلالاتها – مستفيدا من مشاهدات التاريخ والواقع المعاش داخل مجتمعنا – والتي تعمق موضوع البحث وتحقق غاياته اخترت أن يكون عنوان بحثي التسامح ودوره في بناء المجتمع.

وتظهر أهمية الموضوع في بيان أن التسامح صفة أصيلة من صفات المسلمين وأنها لا تنم عن الخوف والذل ، بل عن مكارم الأخلاق وعظم الإسلام .

بالإضافة لحاجة المسلمين إلى العمل بهذا الخُلق الذي له أكبر الأثر على وحدتهم وتماسُكهم، وقلة النزاع بينهم، وكذلك الحاجة إلى تصحيح موقف فئة من المسلمين في هذا الموضوع؛ إما إفراطًا في جانب العلاقات مع غير المسلمين، حتى يرى المقاطعة التامة لهم، وإما تفريطًا؛ حتى يرى البعض مساواتهم بالمسلمين، وأيضًا الحاجة إلى تصحيح ما لدى غير المسلمين من فَهم خاطئ فيتعامل الإسلام مع غير المسلمين، ومعرفة ضوابط ذلك.

فضلاً عما للموضوع من أهمية ، فقد اخترته للأسباب الآتية :

1. الإسهام في حل كثير من المشكلات ، وفض الخصومات بين أفراد المجتمع وإشاعة روح المحبة والمودة لا سيما في وقتنا الحاضر .
2. إبراز معالم الشريعة ، واستجلاء مواقفها في هذه القضايا (التسامح)، على أسس يرتكز عليها أبناء الإسلام ، لينبذوا بذور الشحناء والبغضاء ويلجئوا إلى التسامح والعفو والرحمة .
3. بيان النظرة الثاقبة للشريعة بالحث على التسامح للوصول إلى بناء المجتمع المترابط المتحاب.

وتكمن **إشكالية البحث** من خلال النقاط الآتية:

- جمع وترتيب المادة العلمية المتعلقة بموضوع البحث حتى يأخذ الموضوع هيكلا وصورة كاملة إن شاء الله تعالى.
- بيان دور التسامح في بناء المجتمع .

وسوف تقتصر الدراسة على الكلام عن مفهوم التسامح وبيان مظاهره ودوره في بناء المجتمع، ولتحقيق ذلك قسمت البحث إلى مقدمة وثلاثة مباحث، الأول: مفهوم التسامح ، والثاني مظاهره وآثاره ، والثالث دور التسامح في بناء المجتمع ، وخاتمة وفهارس ومراجع وأخيراً أسأل الله تعالى أن يوفقني لصالح القول والعمل، وأن يعصمني من الخطأ والزلل، و أن يلهمني رشدي، ويسدد عملي، و أن يزيدني علماً، و أن ينفعني بما علمني، إنه على كل شيء قدير، و بالإجابة جدير، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله على نبينا محمد وعلى آلة وصحبه وسلم.

المبحث الأول: مفهوم التسامح

المطلب الأول: تعريف التسامح:

التسامح في اللغة: جاء في اللسان في مادة (سَمَحَ) السّماح . والسماحة والجود ، تسمُح سَمَاحَة وسماحاً وسُمُوحة جاء رجلٌ سمحٌ وامرأةٌ سمحة . ومنه رجال مساميح، والإسماح إذا أعطى وجاد من كرم وسخاء والسماحة والسماح: الجود، سمح به؛ أي: جاد به، وسمح لي: أعطاني، فالمسامحة: المساهلة [1].

وخلاصة ما أوردته معاجم اللغة لهذه المادة اللغوية من معانٍ نختزلها في مدلولين، **الأول**: معنى الجود والكرم . و**الآخر:** التسَّاهل، فالمسامحة: المساهلة.

أما في الاصطلاح وقف العلماء على تعريفات كثيرة:-

فعرفه المودودي بـ(أن نتحمل عقائد غيرنا وأعمالهم على كونها باطلة في نظرنا ، وظلا نظن فيهم بما يؤلمهم ؛ رعاية لعواطفهم وأحاسيسهم ولا نلجأ لوسائل الجبر والإكراه لتصريفهم عن عقائدهم أو منعهم مما يقومون به من أعمال).

أما عن محمد فاروق النّبهان: فقد جعل نقطة اهتمامه في تعريفه للتسامح ، التعايش والتواصل أي التساكن . والتعايش في إطار رؤية إسلامية تحترم حق الآخر في الرأي والعقيدة والفكر [2]

كما عرفه الطاهر بن عاشور أن السماحة (سهولة المعاملة في اعتدال ، فهي وسط بين التضييق والتساهل . فهي ترجع إلى معنى الاعتدال والتوسط [3]

ومن خلال التعريفات السابقة نلاحظ أنها أخذت بالفهم اللغوي للفظة السماحة ، وخصصته للمسلك التعاملي ، وتحديد علاقة المسلم بالآخر التي تتسع للفكر والرأي والمشاعر و التعايش وما يترتب على هذه الأمور من علاقات إيجابية وفاعلة.

المطلب الثاني: التسامح في القرآن والسنة

إن الإسلام الذي جاء به رسول الإنسانية قدّم ذلك التقدم الملحوظ . حمل بين طيّاته قوانين عدة مهمّة عملت على نشره في شتى أرجاء العالم الأكبر . فمن أشهر هذه القوانين المهمة التي كان لها الدور الأكبر والطائل في تقدم المسلمين في مختلف الميادين هو قانون اللين واللاعنف والتسامح الذي أكدت عليه الآيات القرآنية فضلاً عن الأحاديث النبوية الشريفة .

ففي القرآن هناك أكثر من آية تدعو إلى اللين والسلم والرفق ونبذ العنف والبطش ، ومقابلة السيئة بالحسنة ، والإعراض عن الجاهلين ، إذ أن الإسلام لا يقرّ المواقف الوقتية التي تصنعها انفعالات النفس وتغلب عليها العاطفة ، كما لا يقرّ حب الاستغلاب والقهر و الانتقام ؛ لهذا تمثل الآية القرآنية قال تعالى{ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ} النحل:125فمدلول الآية يغلب عليه العفو والمسامحة على مقابلة العقاب بالمثل ، وهو عفو يتصل بغايات وجودية كبرى ، ومقاصد إنسانية نبيلة، وفيما يلي ذكر لبعض الآيات التي تتضمن معاني التسامح

قال تعالى: { وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا } الفرقان:63 ، وقال تعالى: {وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ } فصلت:34، وقال تعالى: {خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ } الأعراف:199 وقال تعالى: { ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ} المؤمنون:96 وقال تعالى: { فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ} آل عمران:159 وقال تعالى: {وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ} النور:22، فهذه الآيات تدعو إلى مبادئ عظيمة تجسد التسامح قال بن كثير في قوله تعالى: {ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ} المؤمنون:96 إن من أساء إليك فادفعه عنك بالإحسان ، كما قال عمر ما عاقبت من عصى الله فيك بمثل أن تطيع الله فيه [4] .

وقال السعدي: (هذه الآيات جامعة لحسن الخلق مع الناس، وما ينبغي في معاملتهم، فالذي ينبغي أن يعامل به الناس، أن يأخذ العفو، أي: ما سمحت به أنفسهم، وما سهل عليهم من الأعمال والأخلاق، فلا يكلفهم ما لا تسمح به طبائعهم، بل يشكر من كل أحد ما قابله به، من قول وفعل جميل أو ما هو دون ذلك، ويتجاوز عن تقصيرهم ويغض طرفه عن نقصهم) [5]

التسامح في السنة يتشارك مع ما جاءت به الآيات القرآنية . فهو المساهلة في كل جوانب الحياة وهذا ما سنذكره فيما يأتي من أقوال الرسول صلى الله عليه وسلم، كما أنه أبرز سجل ومصداق لسلوك منهجية السلام والتسامح في الأمة ، فهو قائد الحركة السلمية اللاعنفية فهناك الكثير من الأحاديث التي وردت في السنة المطهرة تدعو إلى التسامح وتؤكد عليه منها: عن عبد الله بن مسعود قال: قال صلى الله عليه وسلم لأصحابه: (ألا أخبركم بمن يحرم على النار أو من تحرم النار عليه ، كل قريب هيّن ليّن [6]، وقوله هيّن

من الهون والسكون والوقار والسهولة . وأما الليّن فعلى كل قريب أي من الناس بمجالستهم في محافل الطاعة ، وملاطفتهم بقدر الطاعة ، سهل في قضاء حوائجهم . والحديث أفاد بأن النار تحرم على كل سهل طلق حليم الجانب [7].

وعن انس قال: كنت أمشي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه رداء نجراني غليظ الحاشية ، فأدركه أعرابي فجبذه بردائه جبذة شديدة فنظرت إلى صفحة عنق الرسول وقد أثرت بها حاشية الرداء من شدة جبذته ثم قال يا محمد مرْ لي من مال الله الذي عندك فالتفت إليه فضحك ثم أمر له بعطاء [8] .

وعن أبي مسعود كأني أنظر إلى النبي يحكي نبياً من الأنبياء ضربه قومه فأدموه وهو يمسح الدم عن وجهه ويقول: (اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون) [9].

وعن جابر بن عبد الله، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ' قال: "رحم الله رجلا سمحا إذا باع، وإذا اشترى، وإذا اقتضى" [10] .

قال ابن بطال: (فيه الحضُ على السماحة وحسن المعاملة واستعمال معالي الأخلاق ومكارمها وترك المشاحة والرقة في البيع، وذلك سبب إلى وجود البركة فيه لأن النبي صلى الله عليه وسلم ' لا يحض أمته إلا على ما فيه النفع لهم في الدنيا والآخرة) [11]، ومن هذه النصوص نستدل على الآتي [12]:

أولاً: إن السماحة والرفق ومقابلة السيئة بالحسنة بعداً إسلامياً أصيلاً يقرّه ديننا ويدعو إليه ، ويحارب التعصب وانفعالات النفس التي لا تقيد .

ثانياً: إن هذا المسلك الخلقي متصل بمقاصد وغايات نبيلة ، وبهذا لا يعدّ التسامح مسلكاً غائياً ولكنه مادة خلقية لغايات عظيمة .كما تؤكد هذا النصوص النبوية السابقة .

ثالثاً: التسامح لا يعني التساهل أو التنازل عن المبادئ والقيم . ولكن الاستفادة والتواصل مع الآخر كما جاء في قوله تعالى: {خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ} الأعراف:199 الأعراف199 فالعفو قرين الأمر بالمعروف وقرين هذين الأمرين الإعراض عن الجاهلين .

رابعاً: التسامح قاعدة مسلكية إسلامية ، تلزم المسلم الأخذ بها والتخلق بأخلاقها ، وله بهذا ثواب الله ورضاه في دنياه وآخرته وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ} النور:22 قال ابن كثير: أي كثرت منهم الإساءة والأذى وهذا من حلمه تعالى وكرمه ولطفه بخلقه مع ظلمهم لأنفسهم . ودلالة الآية أنه ينبغي للمؤمن أن يكون سمحاً ليناً رفيقاً بإخوانه . وإذا حصلت زلة أو أذى من أخيه ، فإنه ينبغي له المسامحة والإحسان إذا كان يرجو رحمة الله ويطمع فيما عنده.

خامساً: في النصوص دلالة على النظرة الاستشراقية البعيدة والعميقة التي يتسم بها المسلم وإدراكه للحقائق الوجودية ، والمصائر المستقبلية للموجودات بما فيها الإنسان .

المبحث الثاني: مظاهر التسامح

إن للتسامح مظاهر وصوراً تتضح على النحو الآتي:

الرحمة: اتصف الله ´ بالرحمة قال تعالى: { الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ } غافر:7 .

ومن أسماء الله الرحمن الرحيم ، إذ برحمته يهدي عباده إلى سبيل سعادتهم . وبرحمته نزّل عليهم الشريعة الكفيلة بتحقيق الخير والسعادة لهم في الدنيا والآخرة ، وبرحمته يدخل المؤمنين في جنته ، وبرحمته يغفر للمسيئين [13].

كما وردت أحاديث نبوية تؤكد على تخلق المسلمين بهذا الخلق ، فعن جرير بن عبد الله قال رسول الله: (لا يرحم الله من لا يرحم الناس) [14].

قال ابن حجر: الحديث يحث على استعمال الرحمة لجميع الخلق ، فيدخل المؤمن والكافر والبهائم [15]فهي مشروعة لجميع الخلق فما بالك بين المسلمين في البلد الواحد .

ولقد كان قدوتنا النبي - صلى الله عليه وسلم - رحيماً مع كل الخلق ، قال تعالى: { وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ} الأنبياء:107 حتى في الحرب مع العدو ، فعن رباح بن الربيع قال: كنّا مع رسول الله في غزوة فرأى الناس مجتمعين على شيء ، فبعث رجلاً فقال انظر

علام اجتمع هؤلاء ، فجاء الرجل على امرأة قتيل ، فقال: (ما كانت هذه لتقاتل ؟) قال وعلى المقدمة خالد بن الوليد ، فبعث رجلاً فقال: (قل لخالد لا تقتلن امرأة ولا عسيفاً)[16].

إذا كان النبي قد نهانا عن نساء وأطفال الكفار ، فكيف بما نراه اليوم في مجتمعنا من خطف وضرب للأطفال والنساء في بلاد المسلمين من إخوتهم المسلمين ، فهو تعطيل لهذا المبدأ (مبدأ الرحمة).

تخليص الأسرى من الأسر وإطعامهم وكسوتهم: مَبَادِئُ الإِسْلاَمِ تَدْعُو إِلَى الرِّفْقِ بِالأَسْرَى، وَتَوْفِيرِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ وَالْكِسَاءِ لَهُمْ، وَاحْتِرَامِ آدَمِيَّتِهِمْ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى{ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا}الإنسان :8 .

وقد أوصى النبي أصحابه الكرام بحسن معاملة الأسرى ، وحث على إطعامهم وكسوتهم ، والإحسان إليهم والعناية بشأنهم حتى يحكم فيهم . فعن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله: (فكوا العاني وأطعموا الجائع وعودوا المريض) [17]، وَقَال الْفُقَهَاءُ: إِنْ رَأَى الإِمَامُ قَتْل الأسرى فَيَنْبَغِي لَهُ أَلاَّ يُعَذِّبَهُمْ بِالْعَطَشِ وَالْجُوعِ، وَلَكِنَّهُ يَقْتُلُهُمْ قَتْلاً كَرِيمًا. [18]، فهذه تعليمات لأسرى الحرب المشركين ، فالأولى تطبيقها في أسرى المسلمين فيما بينهم ، فما نراه غير ذلك .

دفن جثث القتلى: من مظاهر التسامح بين المسلمين دفن جثث قتلاهم وإن كان بينهم خصومات وخلافات ، فعن عبد الله بن مسعود قال: بينما رسول الله ساجد وحوله ناس من قريش من المشركين ، إذ جاءه عقبة بن معيط بسلى جزور وقذفه على ظهر النبي فلم يرفع رأسه حتى جاءت فاطمة ~ فأخذته من ظهره ودعت على من صنع ذلك . فقال: (اللهم عليك بالملأ من قريش اللهم عليك أبا جهل ابن هشام وعتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة وعقبة بن معيط وأمية بن خلف وأبيّ بن خلف) فلقد رأيتهم يوم بدر فألقوا في بئر غير أمية وأبي فإنه كان رجلاً ضخماً فلما جرّوه تقطعت أوصاله قبل أن يلقى في البئر [20].

فدفن القتلى وعدم تركهم لوحوش الأرض والطيور، وإن كانوا أعداء، احتراماً لإنسانيتهم وانسجاماً مع مبادئ الرحمة والرأفة التي أولاها الإسلام عنايته في كل تشريعاته

فإذا كانت هذه أخلاق المسلمين مع أعدائهم فأولى بهم أن تكون مع إخوتهم المسلمين وإن كانت بينهم خلافات وخصومات وعدم ترك الجثث ملقاة كما ترى في بلاد المسلمين اليوم .

العفو عن المسيئين: عند التأمل في كثير من نصوص القرآن والسنة وسيرة الرسول وصحابته نجدها تدعو إلى العفو والتسامح كقوله تعالى: {خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ } الأعراف:199 وقوله تعالى: { وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ}} الحجر:85، وقد وصف العلماء هذا الصفح الجميل عن المسيئين بأنه صفح عن علو من غير استسلام للشر ، أو خضوع للأشرار . فإذا كان ما يوجب العقاب فينبغي أن يكون في دائرة الأخذ بالحق من غير اعتداء حتى لا يظهر ذلك التسامح ذلاً ومدعاةً إلى تمرد الأشرار والتمادي في الباطل دون رادع . وعند ذلك لا يؤدي التسامح غرضه في بناء الكرامة الإنسانية وتعاون الأمة وتقدمها [21]، وقال تعالى: { وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ} البقرة: 280.

ففي هذه الآية (وجه الله الدائنين إلى التيسير على المدينين المعسرين، فعلمهم الله بذلك سماحة النفس، وحسن التغاضي عن المعسرين) [22]، وقد طبق الرسول الكريم مبدأ التسامح والصفح الجميل في علاقاته حتى مع غير المسلمين في معاهداته وحروبه كما في قوله: (نصبر ولا نعاقب) [23]، فعن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ' (ألا أخبركم بمن يحرم على النار أو بمن تحرم عليه النار على كل قريب هين سهل) [24]، قال القاري: (أي: تحرم على كل سهل طلق حليم لين الجانب، قيل: هما يطلقان على الإنسان بالتثقيل والتخفيف، ... (قريب) أي: من الناس بمجالستهم في محافل الطاعة وملاطفتهم قدر الطاعة (سهل) أي: في قضاء حوائجهم، أو معناه أنه سمح القضاء سمح الاقتضاء سمح البيع سمح الشراء) [25].

إقامة العدل: هو إعطاء كل ذي حق حقه من غير تفرقة بين المستحقين ، ودون النظر إلى الأمور العارضة كالحسب أو النسب ، أو المال أو القوة أو العداوة أو الموالاة [26] كما

في قوله تعالى: { يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (8) وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ} المائدة:8 قال الطبري في هذه الآية فإنه يقول: ولا يحملكم عداوة قوم على ألا تعدلوا في حكمكم فيهم وسيرتكم بينهم فتجوروا عليهم من أجل ما بينكم وبينهم من عداوة [27]، ومن هذا المنطلق يجب على المسلمين تحقيق مبدأ العدالة مع الجميع تطبيقاً واقعياً مع من اختلفوا معهم .

حسن المعاملة: أمر الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة عند الدعوة له ، فقال تعالى: {ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ } النحل:125 ،فهذه الآية دعوة للمسامحة وعدم اتخاذ السيف وسيلة لها كما أمر الإسلام بالمجادلة بالحسنى، وقال تعالى: { وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ} العنكبوت:46. فطابع الحكمة والمعاملة الحسنة في الإسلام كان قبل القتال حتى مع غير المسلمين في البلد الواحد . فعن بريدة قال: كان رسول الله إذا أمر أميراً على جيش أو سرية أوصاه في خاصته بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيراً ثم قال: (اغْزُواْ باسِمِ اللهِ، وفِي سَبِيْلِ اللّه، قَاتِلُواْ مَنْ كَفَرَ باللّهِ، واغْزُوا ولا تَغْلُوْا، ولا تَغْدِرُواْ، ولا تُمَثلواْ، ولا تَقْتُلُوا وليداً) [28].

المبحث الثالث: دور التسامح في بناء المجتمع:

مما لا شك فيه أن مجتمعنا اليوم في أشد الحاجة إلى التسامح الفعّال والتعايش الاجتماعي بين الناس أكثر من أي وقت مضى ، نظراً لأن التقارب بين الثقافات والتفاعل بين الحضارات يزداد يوماً بعد يوم بفضل ثورة المعلومات والاتصالات والثورة التكنولوجية التي أزالت الحواجز الزمانية والمكانية بين الأمم والشعوب حتى أصبح الجميع يعيشون في قرية كونية كبيرة ، والإنسان بطبعه الفطري لم ولن يستطيع أن يعيش لوحده في أي مكان في هذا العالم الواسع . فهو يحتاج لغيره لإكمال ذاته ولهذا اجتمعوا في القدم

وشكلوا عشائر وقبائل ثم أسسوا مجتمعات فظهرت فيها خصال كثيرة ، وتفشت عقليات مختلفة واجتمعت في بناء مجتمع إنساني يسوده الأمن والتسامح ، كما أن الأصل في العلاقات الاجتماعية والإنسانية يجب أن تكون علاقات قائمة على المودة والمحبة ، حتى لو تباينت الأفكار والمواقف بل إن هذا التباين هو الذي يؤكد ضرورة الالتزام بالقيم والمبادئ . وإن التسامح من شأنه أن يفتح آفاقاً جديدة في فهم حقوق الآخرين وواجباتهم تجاه غيرهم وعدم فرض قيود على الآخرين ، وواجباتهم تجاه غيرهم مما يتيح قيم الحرية ويسهم في تكريس الأطر الديمقراطية، فالتسامح بدوره يصنع الأخوة ويقوي التآلف وينمي المحبة والتآزر . وإذا نظرنا إلى التسامح الإنساني ، فهو الإيمان بالمصير الموحد . فطالما جمعت الشدائد والمصائب أبناء هذا الوطن ، وهذا الاجتماع لن يكون إلا لقضية أو كارثة تكون عواقبها قاسية على الجميع دون استثناء كقضايا العصر ، من حروب وفساد وغيره . ومن هذا فالبشرية قادرة على دفن روح الجشع والعدوانية ، كما تستطيع تخطي الصعاب وتحقيق المستحيلات بأجمل الصفات (التسامح) .

إلا أنه ما يؤسف له أن هناك من يسعى لترويج ثقافة الكراهية والعنف بغرض فرض نمط حياة معينة ويمارس سلوكيات وممارسات عفا عنها الزمن من قيم قديمة وتقليدية ومحاربة أي رغبة في التجديد أو أي نمط للتغير . وإزاء الانغلاق والفوضى والعنف وعدم التسامح الذي يسود مجتمعنا ورغم بعض الإرهاصات الجادة هنا وهناك في مجتمعنا لتدعيم السلم الأهلي والأمن المجتمعي وتعزيز سيادة القانون إلا أن الواقع يشير إلى تفاقم مظاهر العنف و الفوضى مما يهدد تماسك المجتمع وأمنه وسلمه الاجتماعي ، والمؤشرات على ذلك كثيرة فلا يغيب يوم إلا نسمع عن خطف أو قتل أو إصابة مواطنين ، ناهيكم عن الصراعات الحزبية ؛ نظراً لغياب التسامح ، وانتشار ظاهرة التعصب والعنف لاختفاء معنى التعايش بين الناس واحترام حريات الغير وروح التعاون .فلا سبيل إلى حل النزاعات وتجنب الصراعات إلا من خلال الحوار القائم على التسامح وترسيخ مفاهيمه وهذا ما دعا

إليه ديننا . فالعفو والتسامح هما السبيل الوحيد لتضامن أفراد هذا المجتمع المسلم وبناء دولته بناء راسخاً قوياً يقوم على أقوى الدعامات وأمتنها ألا وهو التسامح .

ولهذه الصفة الراقية والملكة الأخلاقية والإنسانية الرفيعة الواضح أثارها في المجتمع وأفراده ونذكر من هذه الآثار:

من عفا عفا الله عنه .

التسامح يقوي الأواصر الاجتماعية .

يفتح الآفاق لحياة جديدة مبنية على الحب واحترام الآخر .

يوحد المجتمع ويجعله مجتمعاً تعاونياً متماسكاً ..

دليل التحضر والإنسانية .

يزرع البهجة في النفس ويعمر القلوب بحب العمل المثمر للغير ومساعدته .

ويولد الأمن والاستقرار .

يسمو بصاحبه بأن يجعله ناكراً للذات رافضاً للأنا .

يزيل الكراهية والأحقاد الدفينة .

وسيلة لبناء الدولة .

إن التسامح والعفو يؤصلان المحبة والمودة والتواصل الدائم بين أفراد المجتمع ، بعكس القسوة والغلظة فإنهما تزيدان من بث الشحناء والنفرة في المجتمع وتقتل التواصل والألفة والتسامح ينعكس أساسا على الذات، سامح تسامح واغفر يغفر لك ،هذا من أحد قوانين الحياة ،فالجزاء من جنس العمل.

قال تعالى: {وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ} النور:22، والصفح ينبغي أن يكون تاما وجميلا لا مجرد التظاهر بالتسامح حتى يتحرر الفرد من الشحنات السالبة التي تؤرق مضجعه وتنهشه من داخله قال تعالى مخاطبا الرسول

وهو خطاب لكل مسلم:(فاصفح الصفح الجميل}الحجر85، وفي حديث الرسول ‘"ارحموا ترحموا، واغفروا يغفر لكم"[29]

فالتسامح يعمل على تحرير الفرد من المشاعر السلبية من حقد وبغض وأضغان لتحل محلها المشاعر الإيجابية، وهذا لمن شانه أن تحقق له الراحة النفسية، فالمتسامح إنســان سعيد ، هادئ البال ، مطمئن القلب ، طيب النفس، وفي المقابل فإن الفرد غير المسامح يعمل على إيذاء نفسه من خلال احتضان المشاعر السلبية في داخله والتي تعمل على نهشه وخلق الصراعات بداخله مما يجعله يعيش في حيرة وقلق واكتئاب، والمتسامح إنسان محبوب يحظى بقبول اجتماعي ،فلقد قالوا:" المسامح كريم "،وفي أمثالنا العربية: "العفو عند المقدرة من شيم الكرام"، فالمتسامح يكسب قلوب الناس ،وهذا لمن شأنه أن يغني شخصيته ويثري حياته ،في حين أن الانتقام يجعل الإنسان محط نفور وكراهية ،فيعيش معزولا ووحيدا، فمن فقد شخصا فكأنما فقد جزءا من شخصيته، فالتسامح يؤدي إلى الوحدة والتماسك: إذ أن الخصام والرغبة في الانتقام لا يمكنه إلا أن يعمل على تمزيق العلاقات بين الناس ،بينما التسامح من الأخلاق الفاضلة التي تعتبر كاللحمة التي تشد الناس بعضهم بعضا ،فتجعلهم يعيشون في وحدة وتماسك، فالتسامح إذن ينعكس إيجابيا على المجتمع.

والإنسان المسلم إنسان مسامح ،ويعمل على إشاعة خلق التسامح بين الناس من خلال التربية والتوعية والإصلاح بين الناس، قال تعالى: { إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ}الحجرات:10 ومن أصلح بين الناس يجازيه الله بالأجر العظيم

قال تعالى{لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا} النساء114.

والإصلاح بين الناس أفضل من صيام النافلة ومن صلاة النافلة ومن صدقة النافلة. فالنوافل يعود نفعها على الذات ،أما الإصلاح فيعود نفعه على المجتمع ففي حديث الرسول ‘:"ألا

أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة ؟إصلاح ذات البين، فإن فساد ذات البين هي الحالقة"[30].

الخاتمة :

الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه وبعد:

من خلال دراسة موضوع التسامح ودوره في بناء المجتمع خلص البحث إلى بعض النتائج والتوصيات أهمها:

- الإسلام دين سمح ، وسماحته تشمل جميع مجالات الحياة .
- الإسلام لم تقتصر سماحته على المسلمين فحسب بل أبعد من ذلك ليشمل غير المسلمين من اليهود والنصارى والمشركين، حتى في حالة الحرب، فنهى الإسلام عن قتل الأطفال والنساء والشيوخ والعجزة،
- التسامح المنشود بين أبناء المجتمع الواحد يؤسس أشكال التفاعل الإيجابي الرشيد والتعاون الحضاري الإنساني الواعي ؛ لأنه قيمة إنسانية راقية ، وشيمة من شيم المجتمعات المدنية .
- وحدتنا الاجتماعية والثقافية والسياسية ، هي أن نوظف عقولنا وأفكارنا بقلوب صافية نقية لتحقيق الأمن والسلام والتقدم لمجتمعنا العربي الليبي المسلم .
- يوصي البحث بدور العلماء والحكماء والعقلاء ووجهاء المجتمع في تحقيق التسامح تفعيل دوره في القضاء على كثير من الفرقة ونبذ الشحناء والقيم التقليدية الفاسدة كالثأر وغيره .
- كذلك دور وسائل الإعلام بجميع أنواعها وأشكالها في الدعاية لهذه القيمة النبيلة والإشادة بدورها في دعم الإصلاح والسلم والأمن .

هوامش البحث

1. لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقي (المتوفى: 711هـ)، (مادة سمح) 489/2 ، معجم مقاييس اللغة ، أحمد بن فارس بن زكريا أبو الحسين (مادة سمح) ،99/3 .
2. مفهم التسامح في إطار الرؤية الإسلامية ،مجلة المنهل ، ع.518 ص
3. مقاصد الشريعة ، الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: 1393هـ)، ص ؟ الشركة التونسية للتوزيع
4. تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى : 774هـ)، 180/7 دار الفكر للنشر
5. تيسير الكريم الرحمن ،عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي 313 تحقيق عبد الرحمن بن معلا اللويحق مؤسسة الرسالة الطبعة، الأولى 1420هـ -2000 م
6. سنن الترمذي ، محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي 654/4 ر.2488 ،صححه الألباني 611/2 ،رقم 938
7. تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المبارك فوري أبو العلا 161/7،160 دار الكتب العلمية ،بيروت
8. صحيح البخاري ، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله 2188/5 رقم 5472 ،صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: 261هـ) المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي 379/4 رقم 1057
9. صحيح البخاري 1282/3 رقم 3290
10. رواه البخاري ، شرح ابن بطال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك ،تحقيق، أبو تميم ياسر بن إبراهيم ، حديث 2076 مكتبة الرشد - السعودية، الرياض الطبعة: الثانية، 1423هـ - 2003م
11. شرح صحيح البخاري)) لابن بطال ، 6/ 210.

12. التسامح الإسلامي ،عبد الواسع محمد غاب ،أمير فيصل24،ع 21، 2013،مجلة الشريعة الدراسات

13. الأخلاق الإسلامية ،عبد الرحمان حسن الميداني ،ص دار القلم دمشق ،ط 2 ،1987.م

14. صحيح البخاري، 2688/6 ،رقم 8941

15. فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي ،رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي ،440/12 دار المعرفة بيروت1379.هـ.

16. مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: 241هـ) المحقق: أحمد محمد شاكر ،488/3 .رقم 16035 ، تحقيق أحمد محمد شاكر دار الحديث – القاهرة، الطبعة: الأولى، 1416 هـ - 1995م

17. مسند الإمام أحمد ،394/4 ،رقم19535 .

18. التاج والإكليل بهامش مواهب الجليل ، محمد بن يوسف بن أبي القاسم بن يوسف العبدري الغرناطي، أبو عبد الله المواق المالكي (المتوفى: 897هـ)3 / 353.

19. صحيح البخاري،1163/3 ،رقم 3014 ،1399/3 رقم 41.

20. العلاقات الدولية ، وهبة الزحيلي.62 مؤسسة الرسالة بيروت ط 4 - 11997

21. الأخلاق الإسلامية، لعبد الرحمن الميداني 2/ 467.

22. مسند الإمام أحمد، 538/2، رقم 10961.

23. رواه الترمذي 2488

24. مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ،علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري (المتوفى: 1014هـ) 8/ 317.

25. تسامح الغرب مع المسلمين في العصر الحديث ،عبد الرحمن اللطيف بن أبراهيم ،؟؟؟ دار ابن الجوزي ، السعودية ،ط 1،1990.م.

26. جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى : 310هـ)، تحقيق : أحمد محمد شاكر ،95/10

27. صحيح الإمام مسلم ،314/6.رقم 4497.

28. مسند الإمام أحمد ،113/6 ،

29. أخرجه البخاري في الأدب المفرد 1/ 479 برقم (391) وأخرجه الترمذي في صفة القيامة (25السمط) باب: سوء ذات البين هي الحالقة،